وفعل الأمير فيصل، ما فعله أتاتورك، ولكن بطريقته الخاصة. اذ ساهم مع اللنبي، في اقناع الشيخ صالح، بضرورة مرور القوات الفرنسية في قرية «الشيخ بدر»، وهو يعرف أن القوات الفرنسية ستتمركز في القرية لتهاجم معقل ثورة الشيخ. ولعل الأمير فيصل، تصور أن هذا الاشتباك، سيضع خاتمة ثورة الشيخ صالح، فيبرر لنفسه سحب مستشاريه ووقف مساعدته. ورغم أن المعركة انتهت على غير ذلك، فقد أوقف الأمير فيصل مساعداته، وسحب مستشاريه وضباطه، كبادرة حسن نية ازاء الفرنسيين، على حساب ثورات الشمال.

وبفضل مساومة الأمير فيصل، وسقوط حكمه في دمشق، ومساومة اتاتورك وتخليه عن امداد ثورات الشمال، وانسحاب صبحي بركات من الميدان، شنت القوات الفرنسية، في اذار (مارس) ١٩٢١، هجوماً واسع النطاق، على مراكز قيادة ابراهيم هنانو، وانتصرت عليها. ففر هنانو الى الصحراء، وبقي «عمر البيطار واتباعه يقاتلون الفرنسيين، مع من تبقى من قوات هنانو»[٥٥]، وأصبحت ثورة الشيخ صالح لا مورد لها؛ الّا ما تستخلصه من أنياب العدو[٥٦].

وجاء افتضاح أمر صفقة شراء السلاح من فلسطين، التي نظمها محمد الأرناؤوط، بقيمة ٢٨٠٠ ليرة ذهبية، ومصادرتها «بمثابة اجهاز على الثورة»[٥٧]. وبالفعل نظمت قوات الاحتلال الحملة الختامية بقيادة الجنرال نيجر، في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٢١، واستهدفت مراكز ثورة جبل العلويين وثورة جبال صهيون. وادى الاختلال الفادح في ميزان القوى، الى السيطرة على جميع مراكز الثورة، وتحويل الثوار الى زمر صغيرة تعمل منفردة، دون تنسيق ودون قيادة.

وهكذا سقطت الثورة بعد ١١ شهراً من سقوط الحكم الفيصلي، وبعد ١٠ أشهر من قرارات الجنرال غورو بتقسيم سوريا الى دويلات، وانشاء دولة لبنان الكبير*، وبعد ٣٢ شهراً من رفع العلم العربي على سراي دمشق.

الأمير فيصل: النموذج المساوم

اختفت شخصية الأمير فيصل، الدائرية، كخليط من السمات المتناقضة، في رداء دوره العسكري (قائد قوات الثورة العربية)، وانتمائه الأسري (ابن الحسين قائد الثورة)، ومكانته الدينية (من الاشراف). لذلك وجد في معاصريه ومؤرخي تجربته، من يبرر له الأخطاء، ويعفيه من مسؤولية سلوكه واتفاقاته ومواقفه. وهو رجل شديد الدهاء، يتقن نسج الخيوط المتعاكسة في آن واحد. اذ كان يبدو أمام الاستقلاليين السوريين الرجل الاستقلالي الأول، الذي جاء يجمع كلمتهم وأختامهم لمؤازرة والده، في الثورة على الأتراك؛ وأمام الأتراك رجل التفاهم مع جمال باشا، عبر الأمير سعيد؛ وأمام اللنبي المنظم العسكري الممتاز؛ وأمام الانكليز الصديق بلا شروط؛ وأمام أبيه الابن الأكثر

(*) أصدر الجنرال غورو، بتاريخ ١٩٢٠/٨/٣١، قراراً بانشاء دولة لبنان الكبير، وأضاف لها أربعة أقضية كانت تابعة لولاية سوريا، وهي: البقاع، بعلبك، حاصبيا، وراشيا. وقسم سوريا الى أربع دول: دولة دمشق، دولة جبل العلويين، دولة جبل الدروز، دولة حلب ويتبعها سنجق الاسكندرونة على أن يمنح ادارة ذاتية منفصلة.